قراءة الخطاب النقدي للغرب في الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد رشيد رضا أنموذجاً

أ.م د. صباح حمودي

الجامعة المستنصرية– كلية الاداب

الملخص:

البحث عنوانه: قراءة الخطاب النقدي للغرب في الفكر العربي الحديث والمعاصر– محمد رشيد رضا أنموذجاً، فهو يعد من الشخصيات الإصلاحية والتجديدية، إذ تكسب نظراته طابعاً فكرياً يتسم بالكلية والشمول فمثلت حركته رد فعل متوازن للتحدي الذي يواجه العالم الإسلامي، فكان خصيماً للاستبداد وعدواً للطغيان وداعياً مستنيراً يستجيب لصوت الضمير، ونتيجة لهذا فقد وجه نقداً حاداً للحكم المتسلط وللاستبداد في أشكاله، لأنه لا يتماشى مع الأخلاق والعادات الحميدة ولا مع ماضي العرب التأريخي ولا مع قرآنهم الكريم، إذ لا يمكن قراءة خطاب النقدي دون الرجوع إلى تاريخ الفكر البشري، كونه تاريخ (نقد) كما مثلته الحضارات قديماً وحديثاً، فهو أداة التحول والانتقال من مرحلة إلى أخرى، لأنه شرط للإبداع، والإبداع شرط التقدم والنهضة. إذن كل هذه المعطيات الموضوعية لابد من استحضارها لمعرفة الحجم الحقيقي للمساهمات النقدية للشيخ محمد رشيد رضا ومنهجه في الإصلاح الديني والسياسي والنهضوي.

Abstract

[The Reading of the western critical speech in modern Arabic thought

Mohammed Rida as a sample]

, Mohammed Rasheed Ridais considered as formational and Reconstructed person as He has an intellectual thought contining universality, is movement Represents a steady reaction against the Islamic world so he was an opponent for tyranny, an enemy for despotism, in the same time He Represents an agitator who hear the sound of conscience, There fore He firmly criticized for the absolute tyranny

stage to other also it is a condition for creation The lattero considercd a condition for prosperity and progress so all the adjective data and facts have to reform again for knowing all the critical contributions for sheick Mohammed Rasheed Rida and his political an Religious method.

and despotism in all their images because both of them in contrary with good habits and morality and also with the values of History of Arabs and Quran we cannot Read the Author criticism without back to the History of the human thought because it considers as a History of criticism, it represents as a tool of reformation and transition for

المقدمة:

الشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) ، احد رواد الوعي العربي، وعبقري من العبقريات الملهمة، التي التقى فيها سداد الفكر وشجاعة الضمير، فكان مقتدراً بعقلة على التمييز بين الاشكال والعنوانات وبين الحقائق والاعمال ، الذين شغلوا بهمومها الحضارية بما تكسب نظراته طابعاً فكرياً يتسم بالكلية والشمول بحيث لا يتوقف امام جزئية من الجزئيات الا بقدر دلالتها وبقدر ما تشير اليه من مسارات، اذ يعد من الشخصيات الإصلاحية والتجديدية المهمة التي ظهرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فهو يمثل آخر حلقات مدرسة استاذة الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) وحركة الإصلاح في الفكر العربي الحديث والمعاصر (*) ، فقد ثابر على السير أكثر من سواه في الاتجاه الذي شقه له أستاذة ، وغدا منذ تلك اللحظة حتى مماته تلميذه الأمين على أفكاره واتجاهه، وحامي سمعته ومؤرخ حياته، وبحكم هذه التلمذة سار على طريقته لإنهاض الامة الاسلامية لتعيد مجدها وفقاً للمتغيرات الأتية والمستقبلية ، بمعنى ان الاحياء لا يعني عودة للقديم ، فهذا مستحيل، وانما هي صورة منتقاة نستقي من القديم جذوره واصوله ونستقبل من المعاصر احتياجاته ومتطلباته .

اذ مثلت حركته رد فعل متوازن للتحدي الذي يواجه العالم الإسلامي، فكان خصيماً للاستبداد وعدواً للطغيان وداعياً وواعياً مستنيراً يستجيب لصوت الضمير ويستوحي مبادئ الحق ، ولهذا وجه نقداً حاداً للحكم المتسلط وللاستبداد في كل اشكاله ، لأنه لا يتماشى مع الاخلاق والعادات الحميدة ولا مع ماضي

العرب التاريخي ولا مع القرآن الكريم ، ومن الواجب ، بل من الممكن القضاء عليه ، وبحكم كونه مفكراً ومعلماً دينياً وسياسياً من الدرجة الأولى، ومحترفاً للعمل فيه، الا أن مساهماته (النظرية والعملية) في هذا المجال لم تنل العناية الكافية من قبل المؤرخين العرب الذين أرخوا لحركات الإصلاح والنهضة، فضلاً إلى أنه لا يمكن قراءة خطابة النقدي دون الرجوع الى تاريخ الفكر البشري ، كونه تاريخ **(نقد)** كما مثلته الحضارات قديماً وحديثاً ، فهو اداة التحول والانتقال من مرحلة الى اخرى ، لأنه شرط للأبداع ، والابداع شرط التقدم والنهضة ، من هنا اخذ النقد عند (رضا) يخترق الخطاب الديني والسياسي ، ليعبر الى مجالات اخرى مثل الادب والعلوم الانسانية والطبيعية ، لأنه نسيج ضمني وغير مباشر بحيث يدخل في سياق تمفصل المضمون وعلى اختلاف مستوياته .

ونتيجة لهذا ، لا يمكن الحديث عن مساهماته المتميزة في الإصلاح والتجديد، والكشف عن دوره الفكري ومنهجه الإصلاحي النهضوي بموضوعية علمية دون إغفال التطورات السياسية والاجتماعية التي هجمت على الدولة العثمانية بعامة، والمشرق العربي بخاصة، إذ تابع (رضا) انهيار الخلافة الإسلامية في الاستانه نتيجة الفساد السياسي والإداري الذي كان ينخر جسدها، فضلاً إلى تراكم أعمال وأنشطة حركة التنظيمات التركية المنادية للإصلاح والتغيير، والتي انتهى بها المطاف إلى إلغاء الخلافة بعد وصول الكماليين إلى السلطة في تركيا، وزد على ذلك الصراعات الفكرية التي نشبت بين دعاة التغريب من جهة، والإصلاحيين المتشبثين بالتجديد والتغيير في إطار الأصالة الإسلامية من جهة أخرى، كل هذه المعطيات الموضوعية لابد من استحضارها لمعرفة الحجم الحقيقي للمساهمات النقدية للشيخ محمد رشيد رضا ومنهجه في الإصلاح الديني والسياسي والنهضوي.

عليه، سيعتمد الباحث في بحثه هذا على المحاور الاتية: (النقد لغةً واصطلاحاً ، محمد رشيد رضا ورأيه في الاصلاح الديني، موقفة النقدي من الغرب والاستعمار، رأيه في الاصلاح السياسي، منهجه في الاصلاح والنهضة) ، فضلاً إلى الخاتمة مع أهم الاستنتاجات.

المحور الاول: النقد لغةً واصطلاحاً

١. النقد لغةً :

يقال الشيء نقداً : معناه نقره ليختبره أو ليميز جيده من رديئة، ويقال : نقد الطائر الفخ، ونقدت رأسه بأصبعي ، ونقد الدراهم والدنانير وغيرهما نقداً ، وتنقاداً : أي ميز جيدها من رديئها ، وفلان ينقد الناس : أي يعيبهم ويغتابهم[١].

والنقد خلاف النسيئة، واخراج الزيف منها، ويقال ايضا: أنه قد نقدها وينقدها نقداً،

وانتقدها وتنقدها، ونقده اياها نقداً : اعطاء فأنتقدها أي قبضها[٢].

٢. النقد اصطلاحاً :

النقد عند المحدثين هو التعليل ، أي اظهار ما في الحديث من علة ، وعلة الحديث هي التحريف ، والناقد هو المعلل، ونقد الكلام بمعنى كشف عيوبه، بمعنى هو تقويم، وهو جزء من المنطق ويتعلق بالحكم، وبهذا المعنى يقال نقد المعرفة، ونقد العقل، والنقد الادبي أو الفني الخ .. أذاً هو الفحص والتمحيص الدقيق الذي يهدف بيان ما في الاثر من عيوب أو محاسن، والفكر النقدي هو الذي يدقق ويتفحص من غير تحيز ولا يقبل القول على علاته فيتجه بتساؤله الى المضمون، ويسمى نقداً داخلياً، أو يتجه الى الشكل ويسمى نقداً خارجياً أو ينبه الى العيوب ويسمى نقداً سلبياً أو يبين المحاسن ويسمى نقداً ايجابياً[٣].

اذ ان من خصوصيات التفكير الفلسفي سواء كان يونانياً أم إسلامياً أو غربياً يتميز بكونه يتحدد من خلال **(النقد)** تجاه لحظته الزمنية وهو ما يجعله يتعارض مع ما هو سائد سواء في المجال المعرفي أو القيمي أو على الصعيدين الاجتماعي والسياسي ، فلا نجد أي فيلسوف عبر تاريخ الفلسفة ومهما كانت منظومته الفلسفية التي يؤكدها الا ومارس النقد على الفلسفة السابقة ، أي نقد الفيلسوف اللاحق لسابقيه ، فسقراط نقد تعدد الإلهة وانزلها من السماء الى الارض لتحقيق العدل بين الناس ، ونقد افلاطون للسفسطائيين مستبدلاً بنظرية المثل رؤية الواقع ، ونقد ارسطو لأستاذه افلاطون ، أو نقد الاكاديميين للفلاسفة الشكاك بأسم العقيدة ، فضلاً الى نقد القديس أوغسطين شك الاكاديميين من اجل اثبات امكانية المعرفة أو نقد ديكارت ضد الفلسفة المدرسية المسيحية وهكذا.

ولهذا وجدنا ان عيب النقد الغربي مثلاً هو اقرب الى الهدم منه الى البناء ، واقرب الى التدمير منه الى الاصلاح ، فلا يوجد نقد بلا معيار يربط بين المنقود والناقد، بين القديم والجديد ألا لتواصل الهدم والبناء الى ما لانهاية ، فهو لا يتوقف وألا وقع في القطيعة ، فمن بين الاحكام الشائعة للنقد انه كان حكراً على الحضارة الغربية ، وانها هي التي ابدعت النقد ومارسته ، ولم يظهر نقد الموروث القديم الا بفضلها وفيها نشأ المنهج النقدي والفلسفة النقدية والرؤية للعالم، فعلى الرغم من ازدهاره في الحضارة الغربية ، الا ان وظيفته واسسه وأهدافه انتهت الى غير ما بدأت به ، فقد تحول الى سجال وأخذت المذاهب تتصارع فيما بينها ، اما الحضارات الاخرى فلم تعرف الا الايمان والتسليم وتبرير المعطيات المسبقة بالعقل وهذا خطأ فادح، فقد اخذ النقد بالظهور في كل الحضارات ، فهو ليس حكراً على الحضارات الغربية فحسب، بل مارسته حضارات الشرق ايضاً كالصين والهند ومصر

، فقد نقد كونفوشيوس الدين الصيني في كتابه (التغيرات) رافضاً تعدد الالهة ، في حين نجد ان الفلاسفة المسلمين فقد نقد بعضهم بعضاً، فأبن رشد نقد ابن سينا والغزالي، ونقد الاخير للفارابي وابن سينا وهكذا برع الفلاسفة المسلمين كما هو الحال عند اخوان الصفا وأبن سينا وصولاً الى أبن رشد في نقدهم مناهج الجدل عند المتكلمين دفاعاً عن مناهج البرهان عندهم، فضلاً الى نقد الفقهاء المنطق الارسطي الصوري القديم كونه منطق عقيم غير منتج وليس ذو فائدة ، وهكذا نقد الفقهاء معظم المناهج العقلية والنقلية ، وصولاً الى أبن خلدون الذي نقد مناهج قدماء المؤرخين مبيناً أخطاؤهم وأستعمل منهج الملاحظة والمشاهدة والوصف التاريخي المباشر للأحداث[٤].

المحور الثاني: محمد رشيد رضا ورأيه في الإصلاح الديني

بدءاً اقول ان محمد رشيد رضا[*] قد كتب الكثير من المقالات والدراسات التي تهدف إلى النهوض بالأمة وتقويتها، اذ ركز اهتمامه الى **(الحكام والعلماء)** لأنهم بمنزلة الروح والعقل المدبر للإنسان، لأن في صلاح حالها هو صلاح حال الأمة، إذ يقول " إذا رأيت الكذب والزور والرياء والنفاق والحقد والحسد وأشباهها من الرذائل فاشية في أمة، فأحكم على أمرائها وحكامها بالظلم والاستبداد، وعلى علمائها ومرشديها بالبدع والفساد والعكس بالعكس "[٥].

ولهذا كان أشد الداعين إلى أن يكون الإصلاح الديني عن طريق **(التربية والتعليم)**، كونه أحد رواده الذين حملوا راية (التجديد والاجتهاد)، وهو بذلك يتفق مع استاذه محمد عبده في أهمية هذا الجانب ، لان سعادة الامم بأعمالها، وكمال اعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف ، من هنا حدد (رضا) العلوم التي يجب إدخالها في ميدان التربية والتعليم لإصلاح شؤون الناس ودفعهم إلى مسايرة ركب العلم والمعرفة، ومن هذه العلوم: الفقه وأصول الدين والتاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد[٦] وغيرها . على اعتبار ان (التربية والتعليم) هما قضيتان مركزيتان لحركة النهضة الاسلامية .

ونتيجة لذلك عني بقراءة وحفظ القرآن الكريم، فضلاً الى قراءته لبعض الكتب الصوفية وبخاصة كتاب (احياء علوم الدين) لابي حامد الغزالي، اذ تعلق به وحبب اليه التصوف، فسلك طريقة نحوه على يد احد اشخاص الطريقة النقشبندية الذي شجعه وعلمه على ذلك، ومن خلاله استطاع ان يقف على اسرار هذه الرياضة الروحية بمحاسنها ومساؤها، فبدأ مشوراه بالتصوف حتى انه قرأ ورود السحر، وبعد ان تضلع بالعلم واصول الدين ادرك ان قراءة هذا (الورد) هو من البدع والخرافات، فتركه وانصرف الى تلاوة القرآن الكريم[٧]، ولهذا يقول " رأيت في اثناء ذلك كثيراً من الامور الروحية الخارقة للعادة، كنت اتأول

الكثير منها، وعجزت عن تأويل بعضها"[٨] وفي موضع اخر يقول " ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لا تدل على ان جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حقق ذلك "[٩].

اذ أن أول حادثة قد تنكر منها من طرق الصوفية هو أنه في ذات يوم اقام أهل احد الطرق الصوفية بما يسمه (رضا) [مقابلة المولية]، وهنا يقول " حتى ما آن وقت المقابلة، حتى ترأى امامي دراويش المولية واجتمعوا في مجلسهم، وفي صدره شيخهم الرسمي، واذا بغلمان يجريان ويعملان حركات ويديران دوراناً فنياً سريعاً ويمدون سواعدهم ويميلون اعناقهم..... ويمرون واحداً بعد الاخر امام شيخهم فيركعون "[١٠].

هنا نلاحظ ان (رضا) قد ازعجه هذا المنظر وألمه كثيراً من أن تصل حالة المسلمين الى هذا المستوى من البدع والخرافات والتلاعب في عقائد ومشاعر الناس وعقولهم، فضلاً الى أن هؤلاء بألاعيبهم البدعية قد اعتبروا انفسهم في عبادة يتقربون من خلالها الى الله سبحانه وتعالى، بل أكثر من ذلك أن البعض من الناس يرى أن سماع ومشاهدة ذلك هو عبادة مشروعة، ولهذا السبب لم يترك هذه الحادثة تمر دون ان يقوم بواجبه النقدي الاصلاحي ، الذي استقاه من قراءته للقرآن الكريم مستذكراً قوله تعالى **(الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)** [١١].

أن هذا الامر قد هيأ له الأرضية للمناداة بإصلاح الطرق الصوفية، حيث وجد أن بعضها طيباً، والاخر لا يقبله العقل، بل يكون احياناً مدخلاً الى البدع ومثاراً الى الفتن، ولهذا خرج الى المدينة رغم كثرة من عارضة من مشايخ الصوفية، الا انه صمم الى ان يسير في طريقه نحو اصلاح مجتمعه من هذه الضلالات والبدع، فأخذ يلقي المواعظ والدروس في المسجد معتمداً فيها على جمع اكبر عدد ممكن من الآيات القرآنية لتوضيح هذا الامر، حتى أصبح لمواعظه أثراً كبيراً وأشداً في النفوس[١٢].

ورغم ذلك نجده لم يكتفي بدور الموعظ والموجة والناصح والناقد، وإنما نزل بنفسه الى ميدان التعليم، فقرر دعوته إلى إصلاح التعليم بـ**(العمل)**، إذ حاول تطبيق ما يراه محققاً للآمال، فأنشأ مدرسة أسماها (دار الدعوة والإرشاد) لتخريج الدعاة المدربين لنشر الدين الإسلامي، ولهذا كان يميل إلى الوحدة ويكره الفرقة بين المسلمين، فأخذ يدعوا إلى وضع الوسائل التي تعين على ذلك، فاقترح تأليف يضم جميع ما اتفقت عليه كلمة المسلمين بكل فرقهم في المسائل التي تتعلق بـ(الصحة والاعتقاد وتهذيب الأخلاق، فضلاً الى الابتعاد عن مسائل الخلاف بين الطوائف الإسلامية الكبرى)، من خلال تأليف كتب تهدف إلى

توحيد الأحكام الفقهية على الأسس المتفق عليها في جميع المذاهب الإسلامية والتي تتفق مع متطلبات العصر، إذ أن دعوته هذه للإصلاح قد تميزت بالشمولية، فهو إصلاح يتم بالإسلام وفي الإسلام، أما عناصره فهي كثيرة أهمها: تحرير العقل الإسلامي من الخرافات وتنويره بالفكر العلمي، ومحاربة مظاهر الشرك والبدع ، ومحاربة التقليد والجمود، وذلك بتفعيل العقل الاجتهادي من خلال الدعوة إلى إشاعة العلم والمعارف الحديثة داخل الأمة الإسلامية، ويمكن عده أول داعي في العصر الحديث يتصدى للمبتدعين والخرافيين[١٣]

لذلك شرع من خلال مجلة (المنار) التي أصبحت منبراً للدعوة والإصلاح والتجديد، وأثراً عميقاً في الفكر الإسلامي ، إذ أصدر العدد الأول لها عام (١٨٩٨)، واستمر بإصدارها بانتظام شبه كامل حتى وفاته في مصر عام (١٩٣٥)، ويمكن القول أن هذه المجلة كانت منذ تأسيسها بمثابة سجلاً لحياته ، ففيها كان يفرغ تأملاته في الحياة الروحية، من خلال شروحه الكبرى للقرآن الكريم وهي الشروح التي سماها (بتفسير المنار) التي بثاها على محاضرات أستاذه محمد عبده وكتاباته ، اضف الى ذلك شروحه للعقائد والتفسير والحديث والفقه والاصول وعلوم اللغة العربية[١٤]، فضلاً الى مجادلاته اللا متناهية والعنيفة في هجومها ودفاعها على السواء، والتي من خلالها اخذ ينشر الأخبار التي كانت تأتيه من أطراف العالم الإسلامي، مبيناً آراءه في سياسات العالم والتي من خلالها هاجم الترف والاسراف ، وحذر من الجهل والتخلف [١٥]، فظل قلمة يصول في (المنار) ويجول مرشداً المسلمين الى النظر في سوء حالهم من خلال تذكرهم بما فقده من سيادة الدنيا وهداية الدين ، وما اضاعوه من مجد ابائهم الاولين، فنادى بأن يعلموا ان قيمة الدين ليست في اسراره الروحانية فحسب ، بل في الحقيقة التي يعلمها للإنسانية ، وهي ان سعادة المرء في هذه الحياة الدنيا والحياة الاخرة تتوقف على معرفته بسنن الله التي تضبط هداية البشر افراداً وجماعات ، وعلى المسلمين أن يدرسوا هذه السنن ، ثم يسيروا عليها في يقين وايمان[١٦]. فأخذ يؤكد على المحبة والتآلف بين الناس لا لتوكيد الفتنة والانقسام، فكانت محاولاته انتقائية الطابع ذات أهداف اجتماعية– سياسية أراد من خلالها أن يوفق بين **(العلم والدين)** فربط التفسير بالمكتشفات العلمية الحديثة، كي يستمد كل طرف مشروعه من الطرف الآخر[١٧].

المحور الثالث : موقفه النقدي من الغرب والاستعمار

نجد ان (رضا) هنا قد ربط بين التصورات والمفاهيم الإسلامية من جهة، وبين إلمامه بواقع ومشكلات العصر جيداً من جهة أخرى، إذ كان ذو باع طويل بسبب أسفاره ومخالطته

لعدد من علماء الغرب وفلاسفتهم، فتعرف على أفكارهم وطروحاتهم، فكانت له انتقادات وردود فعل عنيفة عليهم وبخاصة في (**مجلة المنار**)، فقد كان متصدياً ومقاوماً ومنتقداً للأفكار الهدامة المتمثلة بالاستعمار الغربي ودوره السلبي في المجتمعات (الاسلامية) بعامة (والعربية) بخاصة ، رغم كل إمكانيات ودهاء هذا الاستعمار ، الا انه لم يستطيع ان ينفذ بالتوجه الى داخل هذه المجتمعات، ولهذا اتجه (رضا) الى التعبئة الروحية المتمثلة بالإصلاح عن طريق جعل الاسلام اساساً للتربية الوطنية ، فكان لابد لهذه التعبئة من ان تنقد الآخر وعناصره الفكرية والداعين والساعين له ، اذ وجد ان هذا الاستعمار ادى الى فقدان الاستقلال السياسي للامة العربية والى نهب ثرواتها الوطنية ومحاولته تهديد اللغة العربية ومحوها ، ولهذا تناول مسألة النفوذ الغربي وعداءهم للعروبة ، وان أطماعهم هي السبب لانقسام الامة العربية الى دول منفصلة بعد الحرب العالمية الاولى ، وبذلك نرى ان هذا الازدواج في هذه التعبئة اخذ طابعاً نظرياً(**سياسياً**) ، ومنهجياً عملياً (**دينياً**).

علماً ان (رضا) قد شاركه في الكتابة لهذه المجلة عدد من المفكرين الذين ينتمون الى اقطار عربية مختلفة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: (عبدالمحسن الكاظمي، ومحمد روحي الخالدي، وشكيب ارسلان، والشيخ احمد الاسكندري، والرافعي، والمنفلوطي) وغيرهم من قادة الفكر والتوجيه في العالم الاسلامي، إذ أن هذه المجلة تأسست على نمط مجلة (العروة والوثقى) التي أسسها السيد جمال الدين الافغاني (ت ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م) بالتنسيق مع تلميذه الشيخ محمد عبده عام (١٨٨٥م)، بعد نفيهما من مصر، من هنا ازداد اتصال (رضا) بهذه المجلة (العروة الوثقى) بعد ان وجهته الى السعي نحو المقاومة والتحرير والاصلاح، ورسمت له منهجاً علمياً جديداً، وعرفته بأسباب الفساد والتفكك في بلاد الشرق، فضلاً الى انها فتحت له آفاقاً واسعة لم يكن يعرف عنها شيئاً، بحيث دفعت به الى الطريق الطويل الذي سلكه قبله كبار المصلحين وقادة التحرير[١٨].

ونتيجة لكل هذا، استطاع (رضا) أن يتصل بجمال الدين الافغاني الذي نادى بالإصلاح والتجديد عن طريق (**السياسة**)، فضلاً الى اتصاله بأستاذه محمد عبده الذي نادى ايضاً بالإصلاح والتجديد **ولكن** عن طريق (**التربية والدين**)، اذ كان (رضا) أشد تأثيراً بأستاذه وبخاصة فيما يتعلق بالموقف من الاستعمار، غير أن أشد ما أثر في موقف (رضا) سلباً في بداية مشروعه **النقدي** – **الإصلاحي** هو توجيه أستاذه محمد عبده له نحو الجهاد من أجل (الإصلاح الديني– والتربوي) **دون** (السياسي)، وفي الواقع فإن آراء عبده لم تكن لتشجع على ممارسة العمل السياسي على الإطلاق، وهذا

ما يميز حركة عبده عن حركة جمال الدين الأفغاني[١٩].

وهنا خرج (رضا) بعد ان تعرف على منهجي استاذيه بمنهج خاص به جعله **يوائم بينهما** ، فنادى بالإصلاح والتجديد ولكن عن طريق **(الدين والسياسة)** معاً، من خلال الايقاظ الشعور الاجتماعي والتربوي والعلمي. الخ...

لذلك دعا علماء الأمة إلى القيام بواجباتهم، فرأى أن تنفير العرب من الترك هو مفسده ، وان من يسعى إلى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدو لنا ولهم، فعندما قام الاتحاديون الأتراك بالانقلاب على السلطان عبد الحميد عام (١٩٠٨) أجبره على إعلان الدستور، هنا كان (رضا) مثل غيره من الزعماء والمفكرين العرب ممن قبلوا وأيدوا بالانقلاب اعتقاداً منهم بأن إعلان الدستور هو بمثابة إطلالة عهد جديد تسوده الحرية، غير أنه لم يلبث في العام التالي أن أصيب بخيبة أمل شديدة من الاتحاديين على أثر زيارته للقسطنطينية، ولما تأكد من أن الاتحاديين الأتراك ماضون في سياستهم المتواطئة والمستبدة ، فأخذ يكشف أوراقهم ويبين خطر سياستهم لا على فلسطين فحسب، بل على الأمة الإسلامية كلها[٢٠]، إذ تناول كيفية تواطؤ الاتحاديين مع الصهاينة لبيعهم أراضي السلطان عبد الحميد ومساعدتهم في الاستيلاء على فلسطين، ومن أجل مكافحة هذا المدّ (الصهيوني) ودرء خطرهُ حذّر من بيع الأراضي لليهود أو لغيرهم من الأجانب، ولهذا يقول " أنني اعتقد أن الذين باعوا أراضيهم لليهود لم يكونوا يعلمون أن بيعها خيانة لله ولرسوله وللأمة كلها، كخيانة الحرب مع الأعداء لتمليكهم دار الإسلام وأهلها "[٢١]، من هنا اقترح على العرب جمع قواهم كلها للدفاع عن الإسلام وتصحيح عقائدهم، فجمع بين العمل في ميدان الفكر الإسلامي وبين الإصلاح السياسي لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة، كاشفاً عن وجه بعض القوى التي ظهرت آنذاك، والرامية إلى الاستعانة عن الخلافة العثمانية بخلافة جديدة، معداً هذه الفكرة وحياً أجنبياً من شأنه أن يخدم المصالح الأجنبية العالمية التي تقف وراءه الحركة الصهيونية وبخاصة (انكلترا) التي لا تزال ممعنة في إرهاب عرب فلسطين وانتزاع وطنهم وإعطاءه لليهود الصهاينة قسراً، لتجد لهؤلاء مُلك في قلب البلاد العربية يكون حاجزاً بين (مصر والحجاز وفلسطين)، مما يمنع قيام دولة عربية إسلامية قوية موحدة تقف في وجه الاستعمار الأوروبي[٢٢].

علماً انه كان من الممكن وبحسب رأيه القبول بالخلافة العثمانية على أنها (خلافة بالضرورة)، مع أنها لم تكن خلافة أصيلة، لأنها تفتقر إلى أحد الشروط الجوهرية للاجتهاد وهو عدم معرفتها اللغة العربية، هذا من جانب ، ومن اخر وجدناه انه عاش في عصر كثر فيه الضعف والجمود الذي مس البلاد الاسلامية ، فأخذت دول الاستعمار

تتكالب عليها من كل جانب ، حتى ما هزمت الدول العثمانية في الحرب العالمية الاولى، اخذت دول الاستعمار تنهش وتتقاسم املاكها في البلاد العربية .

اذ عاصر (رضا) كل هذه المصائب وشاهدها بأم عينه فكان لابد له كمقاوم ومصلح وسياسي ان يكون له مواقف مذكورة ضد المستعمرين ، ومن هنا اخذ ينشر افكاره الاصلاحية على صفحات (المنار) ، وذلك بما تسمح به سلطات الاحتلال الانكليزي من نشره رغم الحرية النسبية التي وضعها الانكليز له ، فكان هدفهم من ذلك هو اجتذاب المفكرين والمصلحين للعيش في مصر حتى يكونوا تحت مراقبتهم ويكتبوا في ظلهم [٢٣]، ورغم عيشه المبكر في مصر الا انه لم يكن ذا اتصال كثير بهم ، فهو لم يتصل بالإنكليز الا بشخص واحد وهو (متشل انس) الذي كان موظفاً بوزارة المالية المصرية ، وقد مدحه (رضا) كثيراً وذكر انه كان اشد الانكليز استقلالاً في الفكر وحرية الرأي ، فكانت له مذكرات سياسية ودينية معه من خلال عقد الصلة الذي أولفها لهم الشيخ محمد عبده[٢٤].

وفي الواقع ان افكار (رضا) لم تكن بالطبع من الامور التي يمكن الاستعمار السكوت عليها ، ولذلك لم يكن الانكليز يطمئنون له رغم اقامته بينهم، ولهذا كانت رسائله البريدية موضع مراقبة شديدة وبخاصة اثناء الحرب العالمية الاولى وما بعدها[٢٥] ، وحينما يئس من الدولة العثمانية بعد تولي الاتحاديين الحكم وظهور مساوئهم ، اخذ ينقدهم ويعمل ضدهم ، فرأى من الافضل ان يثير عليهم الانكليز، ولكنه خاب امله بالفشل حين رأى انهم يعملون لهدم (العثمانيين والعرب) معاً [٢٦].

هنا نلاحظ ان الانكليز فهموا هذا التغير من (رضا) فغضبوا عليه وفكروا في نفيه الى (مالطا) ، ولكنهم عدلوا عن ذلك ، لانهم رأوا ان ذلك يضر بهم اكثر من ان ينفعهم ، فبقاءه في مصر وتحت اعينهم اسلم لهم ، ولهذا تركوه ، فأصبح عدواً للأتراك الاتحاديين والانكليز معاً.

رغم بقاءه تحت مراقبتهم ، الا انه واصل نقده ضدهم من خلال كتاباته الوطنية ، اذ كانت له مواقف مشرفة خاصة في اخراج بعض المسلمين الذين كانوا معتقلين في سجونهم (بكفالة من قبله)، وحصل ذلك قبل ان يزداد غضبهم عليه [٢٧]، علماً ان هذه العلاقة السيئة بينهما قد ازدادت حين ظهرت معاهدة (سايكس بيكو) على السطح فعارضها بشدة وبقوة ، واخذ يطعن بها وينقدها بسبب تعسف الانكليز وظلمهم للمسلمين ، ونتيجة لذلك استمر من غير هوادة يكشف دسائسهم ومؤامراتهم، واخذ يذكر في مقالاته ان الشعوب الاسلامية والعربية ساعية الى تحطيم (الاسد) ، اذ ان جهاده ونقده لم يكن ضد الاستعمار الانكليزي فحسب ، بل هاجم ونقد ايضاً كلاً من الاستعمار الايطالي عندما هاجم ليبيا ،

والاستعمار الفرنسي من خلال سياسته في المغرب العربي واحتلاله للشام [٢٨] .

المحور الرابع : موقفه من الاصلاح السياسي:

كان محمد رشيد رضا رغم كونه مفكراً (إسلامياً) وغيوراً على دينه، الا أنه كان **(سياسياً)** ومحترفاً للعمل فيه، فكان متعدد الجوانب والمواهب بحيث شغل نفسه بهموم أمته وقضاياها، فبعد أن توفى أستاذه الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) ، كان (رضا) قد بلور بالفعل رؤية خاصة للإصلاح السياسي في الدولة العثمانية من خلال إقامة دولة إسلامية نموذجية فيها، ولهذا دعا إلى إقامة نظام سياسي إسلامي دستوري يلتزم بمبادئ الشورى والعدل والحرية، بحيث يشارك فيه الشعب ويلتزم فيه السلطان باستشارة زعماء الشعب وممثليه، بحيث تخضع الحكومة لمساءلتهم[٢٩]، ولهذا السبب وضع رسالة في إحياء الخلافة على أساس إسلامي أصيل يتناسب مع حالة العالم الإسلامي في العصر الحديث[٣٠]، إذ تناولت الرسالة موضوعين أحدهما **(نظري)** والآخر **(عملي)**، فالنظري يعتبر أفضل ما كتب في النظرية الإسلامية للحكم من حيث التأصيل والتنظيم منذ الكتاب الذي وضعه الماوردي في **(الأحكام السلطانية)** في القرن الرابع الهجري، أما العملي فقد تناول المشاكل التي ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى والتي أثرت على مصير الخلافة[٣١]، ولهذا جاهد في إنشاء عدة تنظيمات سياسية والتي دعا من خلالها إلى إصلاح سياسي على أساس إسلامي في الدولة العثمانية، بمعنى أنه رأى أن النظام السياسي الفاسد في الدولة العثمانية هو الأولى بالإصلاح، لذلك فضل استخدام وسائل الإعلام وقيادة أنشطة سرية وغيرها لإنجاز وإنجاح هدفه هذا، فضلاً إلى أنه عمل مع رعايا بعض العثمانيين في مصر لإنشاء منظمة سرية باسم (جمعية الشورى العثمانية) التي ضمت ممثلين عن معظم الجماعات العرقية والدينية في الدولة العثمانية، إذ ترأس هذه الجمعية عام (١٩٠٦)، فكانت نشطة في الدعوة إلى إصلاح الدولة العثمانية في مصر وبعض الدول الغربية[٣٢]، وأكد أن الدولة العثمانية يجب أن تصبح وطناً لجميع الشعوب المنضوية تحت لوائها، بغض النظر عن أعراقها ودينها، ومن ثم يصبح لدى رعاياها هوية وطنية لا تتعلق بشخص حاكمها، بل تتمتع جميع شعوبها بحقوق وواجبات متساوية[٣٣]، فكان يعتبر الدولة العثمانية– دولة الخلافة الإسلامية، بالرغم من انتقاده لحكامها لعدم التزامهم بالمبادئ الإسلامية في الحكم[٣٤].

معنى هذا أن (رضا) لم ينسى أبداً هويته الأصلية كونه عربي، عثماني، رغم أنه قضى معظم حياته في مصر التي كانت قد خرجت بالفعل من أيدي العثمانيين، إلا أن انخراطه

في الحياة السياسية العثمانية والعربية والسورية فاق بكثير من انخراطه في الحياة السياسية المصرية.

إذاً، إن مفهوم الإصلاح والتجديد السياسي عنده هو مفهوم محوري، لأنه هو أحد أوجه التجديد في فكره، لأن مفهوم **(السياسة والإمامة)** ارتباط متين بالسنن الربانية في المجتمعات والحكم، ولهذا يرى أن **(السياسة)** هي جزء من الإسلام العام أو ما أسماه **(بالسياسة المدنية)**، وهذه لها دور واجتهاد ونظر، على اعتبار أن الإسلام وضع القواعد العامة والقيم العليا التي تضبط سير السياسة المدنية والشؤون العامة، أما التفاصيل والإجراءات فمتروكة للشعب الذي له الحق بأن يجتهد فيها بحسب اختلاف الزمان والمكان، لأن هذه السياسة بحسب رأيه هي التي تصون الدين وتحفظ الدنيا وتنشر الأخوة الإنسانية[٣٥].

اذ إن مصدر السلطة في الإسلام يعود للأمة عن طريق أهل **(الحل والعقد)** من ذوي العدل والكفاءة والحكمة المنتخبين شعبياً، ومن ثم يختارون من بينهم الأفضل للإمامة، ولا يحق لرجل أن يتغلب على الأمة بالقهر والقوة انقلاباً بالسلطة، حتى لو كان ذا عصبة وسلاح أو شجاعة وكفاح، وإنما تولى الإمامة برضى الناس لا بالغلبة والانقلاب، وعلى الشعب مقاومة الحاكم المتسلط حتى لا يطول العهد ويستساغ ظلمة لدى الأجيال[٣٦].

خلاصة القول، إن (رضا) كان أكثر ما يؤكد عليه هو عودة الخلافة الإسلامية على غرار ما كانت عليه في صدر الإسلام عن طريق الانتخاب، وهنا يقول " أن الأتراك نقضوا هذا القانون، فلا بد من اعتزال هذا الأمر وإفساح المجال للناس لانتخاب الشخص القوي الحكيم المقتدر من بين أبناء الشعب العربي... ولكن إذا كان هناك شخص غاصب لمقام الخلافة بالقوة فطالما لم ينحرف عن الشريعة الإسلامية، يجب على المسلمين طاعته بحكم الضرورة لتجنب الفوضى والفتنة والاضطراب السياسي "[٣٧]، لأنه رأى أن الشريعة تساوي بين الأجناس جميعاً في الحكم، لذلك دعا إلى أن تكون اللغة العربية لغة جميع المسلمين، فأفتى في (المنار) بضرورة تعلم كل مسلم اللغة العربية وبخاصة أولئك الذين يطالبون بفتح باب الاجتهاد وتوحيد العالم الإسلامي من خلال تأسيس نظام شورى كأساس للحكم في سياق توحيد الأقطار الإسلامية ورص صفوفها[٣٨].

وبناءاً على هذه الأحداث التاريخية سلك المسلمون في أمر السياسة والحكم بثلاث اتجاهات مختلفة، **الأول**- ما يسمى بحزب الجمود والتقليد الفقهي، **والثاني**- حزب التقليد الإفرنجي، **والثالث**- هو حزب التجديد والإصلاح، وهذا الأخير هو الذي ينتمي إليه الشيخ (رضا) وأخذ يضع له برنامجاً

سياسياً[٣٩]، إذ أن من أهم أنظمة العمل فيه تتركز على الآتي:

١.برنامج المدرسة التي تخرج منها الخلفاء والمجتهدون.

٢.برنامج انتخاب الخليفة.

٣.برنامج الديوان الإداري والمالي، ويضم هذا (مجلس الشورى، ومجلس الإفتاء، ومجلس تعيين الوزراء والقضاة والمثقفين، ومجلس الدعوة)[٤٠].. وغيرها.

معنى هذا، إن المتتابع لمواقفه اتجاه الإصلاحات السياسية، يلاحظ مدى التطور والتغيير الذي اتسمت به هذه المواقف خصوصاً فيما يتعلق بمطالب الولايات العربية وضرورة رفع الظلم والإجحاف السياسي الذي كانت تعاني منه.

ومن هنا نلاحظ أن فكرةٌ كان منصباً على تضيق الفجوة التي بدأت تتسع بين العرب والأتراك، لذلك أخذ بالعمل على تجميع العناصر التي تكونت منها الدولة العثمانية، وذلك للحفاظ على دولة الخلافة الإسلامية، وتقوية الأواصر الدينية بين هذه القوميات المتنوعة، إذن فالإصلاح السياسي بحسب رأيه جمع بين عناصر متعددة تجمع وتولي الاهتمام للقاعدة الجماهيرية من خلال تعليمها وتهذيبها حتى تتمكن من مواجهة الاستبداد السياسي وتقلع جذوره، لأن الإصلاح السياسي وحده لا يكفي، خصوصاً إذا اقتصر على القمة دون تهيؤ الأرضية الشعبية التي ستحافظ عليه وتضمن استمراريته[٤١].

المحور الخامس : منهجه في الاصلاح والنهضة

حاول (رضا) هنا تقديم مشروع حضاري اصلاحي – نهضوي شامل منطلقاً من أيمانه بشمولية الاسلام ، ومؤمناً بأن المسلمين باستطاعتهم استرجاع حضارتهم لتنير الشرق والغرب بالعلوم المفيدة ، ولهذا اخذ يشرع لإسلام سياسي على قاعدة الجامعة الإسلامية، على أن تكون الخلافة للعرب بصفة محددة، ولم تتوقف مساعيه عند التأسيس لإسلام سياسي على قاعدة الجامعة الإسلامية فحسب، وإنما شرع إلى التأسيس النظري للإسلام بوصفه ديناً يقوم بمجابهة انتشار حملات التبشير للمسيحية في العالم الإسلامي، ففي كتابة (الوحي المحمدي) الذي نقلت بعض فصولهُ إلى لغات عده، اذ يرى (شكيب أرسلان) بحسب ما يقول أيوب أبو ديه، أنه كان موجهاً للأوربيين ليعلموا أدلة الإسلام على صحة الوحي المحمدي[٤٢].

علماً أن (رضا) يكره حياة الأوربيين الاجتماعية، فكان يعتقد أنه من الممكن لأوربا أن تعتنق الإسلام لولا الكنيسة ورجال السياسة، هذا من جانب، ومن آخر يرى أن تخلف الإسلام نفسه داخلياً، إذ أن هذا السؤال قد طرحه قبله أستاذه محمد عبده، بأنه " لماذا البلدان الإسلامية متخلفة في كل ناحية من

نـواحي التمـدن "[٤٣]؟، ويجيـب (رضـا) علـى هـذا، إن تعـاليم الإسـلام وقواعـدهُ الخلقيـة مـن شأنها إذا فهمت على حقيقتها وطبقت بكاملها دون تحريف سوف تؤدي إلى الفلاح، لا في الآخرة فحسب، بل في الدنيا أيضاً، أما إذا لم تفهم أو تطبق على حقيقتها فإنها ستفضي إلى الضعف والفساد والبربرية، علماً أن سبب هذا التخلف هو أن المسلمين قد فرطوا بحقيقة دينهم بتشجيع من حكام سياسيين فاسدين، فالإسلام الحقيقي ينطوي على أمرين: **الأول**– (القول بالتوحيد)، **والثاني**– (الشورى في شؤون الدولة)، وقد حاول الحكام المستبدين حمل المسلمين على تناسي الثاني بتشجيعهم على التخلي عن الأول، إذ أن ما حدث في الماضي يمكنه أن يحدث من جديد، فالمدرسة الإسلامية انبثقت من لا شيء، ولكن بفضل (القرآن الكريم) ومبادئه الخلقية الموضوعية يمكن بعثها من جديد[٤٤]، من خلال عودة المسلمين إلى كتابهم المقدس (القرآن الكريم)، كما في قوله تعالى **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**[٤٥]، لأن اللغة العربية وحدها هي لغة التقوى والعقيدة والشريعة أينما وجد الإسلام، كل هذا كان بفضل حسه السليم الذي درس التاريخ العربي واجتهد في إشاعة الوعي التاريخي وحب الحقيقة بين الناس لكي يدركوا أسباب هذا التخلف ويعملوا على تجاوزه نحو النهضة[٤٦]، ولهذا يرى أنه من الضروري للإسلام أن يتحدى العالم الجديد، وان يقبل بالمدنية الجديدة بالمقدار الكافي لاستعادة قوته كما كانت دوماً، منسجماً مع تفكيره، ومنطقياً مع نفسه، إذ كان موقفه هذا مستنداً إلى أحد مبادئ الإسلام، وإن الجهاد لزام على المسلمين، لكنهم لا يستطيعون تأديته ما لم يصبحوا أقوياء، ولا يمكن ذلك ما لم يقتبسوا علوم الغرب وفنونه التقنية[٤٧]، لأن أوربا نفسها لم تتقدم إلا بفضل ما تعلمته من المسلمين في إسبانيا وغيرها.لذلك يمكن القول أن خطابه الديني– السياسي– النهضوي كان موجهاً الى الداخل والخارج معا .من هنا تابع (رضا) عقلانيي الأمة ممن سبقه في تسمية أسباب التخلف والانحطاط التي انتهت بضعف العروبة والإسلام وعجز الحل الديني الجامد من خلال اضطراب الموقف الفكري– السياسي لهم بسبب تأثير الوجود الاستعماري، فضلاً إلى فشل العثمانيين في قيادة المسيرة ، وانتهى بهم المطاف إلى هزيمتهم وتقسيم بلاد العرب، وانكشاف زيف الوعود الغربية، والاتجاه المغترب ودعواته العلمانية الملحدة التي أخذت تتصاعد مع سقوط فكرة الخلافة لتنفيذ البرنامج الصهيوني ضد العرب ومستقبلهم ونهضتهم[٤٨].وبذلك نلاحظ ، أنه أخذ يستجيب للتغيير لدواعي العمران المدني ويعيد للعرب دورهم التاريخي باعتبارهم أهل رسالة وأصالة ودين، بعد أن تخلفوا عن هذا الدور بحكم الاستبداد العثماني– الأوربي وإهمالهم للتراث والعلم الحديث، فضلاً إلى صراعهم على

الرياسة السياسية مما لا سبيل لعلاجه إلا بمشروع **(الأمة الوسط)**، الذي يراهن على العامل السياسي في تحريك التاريخ من جانب، ويرفض التعصب الديني والالحاد من جانب آخر، بعد أن ميز بين مسيحية الإنجيل الحقيقية (جوهر الحقيقة) التي تحثهم على الارتباط بالأهل، وبين مسيحية المتفرنجين الزائفة التي تخدم الأجنبي ومؤسساته وسياسته، بعد أن عزا تبرم المسيحيين (العرب) لا من الدين الإسلامي فحسب، بل من الساسة وسلوكهم المشين وجهلهم ومظالمهم.

ولهذا يرى أن في مكونات التاريخ العربي هناك ثمة قوانين وسنن حيوية يشهد عليها الواقع المعاشي ويعترف بها النص المقدس (القرآن الكريم) أبرزها:

١- الصراع بين الأمم والشعوب، يراد به إظهار الطرف الذي ينحاز إلى الحق والعدل، ويتوج بانتصار المتقين والصالحين ممن منحهم الله الخلافة على هذه الأرض وسلبها من الفاسقين والظالمين.

٢- نسبية الحقيقة التاريخية، هذا يعني لكل زمان شروطه ولكل مكان اشتراطاته، وهذا هو منطق التطور الذي علينا مراعاته، الذي به ارتقى الإسلام بالعمران وبفنون العرفان[٤٩].

وعلى أساس هاتين الركيزتين أقام فلسفة النهضة العربية وحركة التاريخ التي لا نتمكن منها إلا بتحقيق الشروط الآتية:

أولاً: لا نهضة إلا بإصلاح الدولة وضمان وحدة القيادة والبناء وعدالة الحكومة.

ثانياً: لا نهضة إلا مع عقيدة صالحة، عليه لابد من تجديد العقيدة الإسلامية وتجاوز الجمود من خلال إثارة العامل الوجداني الحقيقي في الإنسان.

ثالثاً: لما كان الإنسان صانعاً للتاريخ، فلا نهضة إلا بإصلاح وتحفيز وعيه وفعله الاجتماعي والتاريخي، فلا صلاح أو إصلاح من دون وعياً ذاتياً واجتماعياً.

رابعاً: وحدة الشعب وسلطته، إذ أن تكامل المسؤوليات والواجبات والحقوق، لا تستقيم إلا عن طريق العمل المشترك بين (الحاكم والشعب) والذي يقوم على أساس المحبة والاتحاد والتمكن من وسائل النهوض والتقدم.

خامساً: حوار الأجيال والحضارات، وهذا يعني أن تاريخنا لا يتقدم ولا نتمكن من النهضة إلا إذا قام حواراً مع الأسلاف على أساس جدل **(الأصالة والمعاصرة)**، حتى تتمكن الأمة من تحقيق تواصلها مع تراثها وعقيدتها وقيمها ومع علوم العصر وروحه[٥٠].

اذ أن هذه الشروط ما هي الا شروط نابعة من صلب الأمة وظروفها، وحركتها لا تقود إلى النهضة إلا بالتمسك بالنبوة وتراث خلافة النبوة ، فضلاً الى تضامن المسلمين واتحادهم والنهوض بهم كرافد نقصي من خلاله على كل أسباب الضعف والانحطاط والتخلف

والاستبداد، حتى لو تطلب الأمر من الأمة إلى الثورة لإصلاح شأنها ، وبهذا تكون النهضة في التاريخ العربي فعلاً ووعياً حراً داخلياً ينشأ بفضل التفاعل الايجابي لشبكة العوامل الذاتية والموضوعية .

الخاتمة وأهم الاستنتاجات:

من خلال سير البحث توصل الباحث إلى عدة استنتاجات أهمها:

١. وجدنا ان التفكير الفلسفي سواء كان إسلامياً أم غربياً تميز بكونه يتحدد من خلال **(النقد)**، اذ لا نجد أي فيلسوف ومهما كانت منظومته الفلسفية التي يؤكدها الا ومارس النقد ، أي نقد اللاحق لسابقيه ، فوجدنا ان عيب النقد الغربي هو أقرب الى الهدم منه الى البناء، وأقرب الى التدمير منه الى الاصلاح، وأنه كان حكراً على الحضارات الغربية، ورغم ازدهاره فيها، الا أنه تحول الى سجال وأخذت المذاهب تتصارع فيما بينها، بخلاف النقد الاسلامي فهو من أجل الاصلاح والبناء، فضلاً الى ان الحضارات الاخرى قد ظهر فيها النقد بدءا من الصين والهند ومصر وغيرها، اذن لا يوجد نقد بلا معيار يربط بين المنقود والناقد وبين القديم والجديد، الا لتواصل الهدم والبناء الى ما لانهاية.

٢. أن (رضا) قد بدأ مشواره بالتصوف وذلك من خلال قراءته لبعض الكتب ومنها (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي، إذ تعلق به وحبب اليه، فسلك طريقه نحوه من خلال الطريقة النقشبندية، فوقف على اسرارها بكل محاسنها ومساؤها، حتى انه قرء ورود السحر، بعد ان تمعن وتضلع بالعلم واصول الدين ادرك ان هذا (الورد) هو من البدع والخرافات، والتلاعب في مشاعر وعقائد الناس وعقولهم،

بل احياناً يكون مدخلاً ومثاراً الى الفتن فتركه وانصرف الى تلاوة القرآن الكريم، فضلاً الى ان ألقاءه المواعظ والدروس لتوضيح وكشف هذا الامر، ويمكن عده أول من تصدى في العصر الحديث الى المبتدعين والخرافيين، ونتيجة لهذا فهو يؤكد على الوحدة بين المسلمين رافضاً تشتيتهم وتفرقتهم، ولهذا قام بتأليف عدة كتب تهدف الى توحيد الاحكام الفقهية في المذاهب الاسلامية والتي تتفق مع متطلبات العصر الحديث، لان الاصلاح الديني لديه هو اصلاح يتم بالإسلام وفي الاسلام، قائم على تهذيب الاخلاق، من هنا اخذ يوائم بين **(العلم والدين)** من خلال ربط الاخير بالمكتشفات العلمية الحديثة كي نواكب التطور ونضاهي الدول الاجنبية في درجة تقدمها وتطورها، فكانت له في مجلة (المنار) ردود فعل عنيفة عليهم والتي اصبحت منبراً للدعوة الى الاصلاح، فهاجم من خلالها الترف والاسراف ومن الجهل والتخلف .

٣. لاحظنا أن الشيخ محمد رشيد رضا، كان متعدد المواهب غيوراً على قضايا أمته، له الكثير من الإسهامات الفكرية والحركية المستقلة والتي تميزهُ عن أساتذته ومعاصريه من دعاة الإصلاح الإسلامي، فقد رأى منذ البداية بأولوية إقامة نظام إسلامي– سياسي دستوري يلتزم بمبادئ الشورى والعدل والحرية، بحيث يشارك فيها الشعب وممثليه.

٤.لقد عاش (رضا) فترة عصيبة من حياة الأمة الإسلامية تغيرت فيها ملامحها السياسية والتي تمثلت بسقوط الدولة العثمانية، رغم ذلك فهو لم يكن مكتوف الأيدي حيال هذه الأزمات التي عصفت بالبلاد من دون اقتراح حلول، ومن هنا وضع برنامجاً فكرياً تربوياً سياسياً لفت من خلاله الانتباه إلى الآثام والمعاصي الناتجة عن ترك النظر في سنن الأرض والتي باتت أشد ضرراً على جسد الأمة العربية، أذ كثر فيها الضعف والجمود، ولهذا أخذت دول الاستعمار تتكالب عليها وأخذت بالسيطرة على أملاكها، ومن هنا فهو كان منتقداً ومقاوماً شرساً لهم، فكانت له مواقف مشرفه ليس ضد الاستعمار الانكليزي فحسب، بل ضد تواطؤ الاتحاديين الاتراك وذلك لبيعهم الاراضي لليهود، وأستمر من غير هوادة يكشف دسائسهم ومؤامراتهم حتى وصل جهادة ونقده الى الاستعمار الايطالي والفرنسي، ومن أجل مكافحه هذا المد (الصهيوني) ودرء خطره أخذ يحذر من بيع الاراضي لليهود أو لغيرهم من الاجانب، لان بيعها هو خيانة لله ولرسوله وللامة الاسلامية، فدعى العرب الى جمع قواهم للدفاع عن الاسلام باعتبارهم أهل رسالة وأصالة ودين، كاشفا زيف الوعود الغربية، والاتجاه المغترب ودعواته الى العلمانية الملحدة التي أخذت تتصاعد لتنفيذ البرنامج الصهيوني ضد العرب ومستقبلهم ونهضتهم .

٥. لقد وقف (رضا) موقفاً حازماً من الاستبداد الذي تجذر لدى الأتراك، إذ يؤكد دائماً على أن السلطة مصدرها الأساس هو الشعب، ويكون ذلك عن طريق نوابها أهل (الحل والعقد)، فلا شرعية لتوريث أو انقلاب على إرادة الشعب، فالدولة التي تكون سياستها قائمة على العدل والحق فإنها بالتأكيد تؤول إليها وراثة الأرض، أما التي تقوم بالعكس فتزول والتاريخ خير شاهد على ذلك، فليس للحاكم خيار من هذا.

٦. لاحظنا كذلك انه استطاع ان يتصل بجمال الدين الافغاني الذي نادى بالإصلاح والتجديد عن طريق (**السياسة**)، فضلاً الى اتصاله بأستاذه محمد عبده الذي نادى ايضاً بالإصلاح والتجديد **ولكن** عن طريق (**التربية والدين**)، لان آراءه لم تكن تشجع على ممارسة العمل السياسي على الاطلاق وهذا خلاف واضح بين الافغاني وتلميذه عبده، في حين نجد ان (رضا) قد سار على منهجي استاذيه بمنهج خاص به بحيث جعله **يوائم بينهما**، فنادى بالإصلاح والتجديد ولكن عن طريق (**الدين والسياسة**) معاً، اذ يبين ان الدين ليس في اسراره الروحانية فحسب، بل في الحقيقة التي يعلمها للإنسانية، اما السياسة فهي التي تصون الدين وتحفظ الدنيا، فضلاً الى انها تنشر الاخوة الانسانية.

٧. من خلال سير البحث وجدنا ان (رضا) قدم مشروعاً حضارياً إصلاحياً نهضوياً شاملاً منطلقاً من أيمانه بشموليه الاسلام، ولهذا اخذ يستجيب للتغير لدواعي العمران المدني ويعيد للعرب دورهم التاريخي بعد اهمالهم للتراث والعلم الحديث، بعد ان تخلفوا عن هذا الدور بحكم الاستبداد، ورأى انه لا سبيل لعلاج ذلك الا بمشروع (**الامة الوسط**)، لذلك اخذ يراهن على العامل السياسي الذي من خلاله اخذ يرفض التعصب الديني والالحاد.

أذاً ، فلا نهضة الا مع عقيدة صالحة من خلال تجاوز الجمود، فضلاً الى اصلاح الدولة وضمان وحدة القيادة وعدالة الحكومة، وبذلك تكون النهضة في التاريخ العربي فعلاً ووعياً داخلياً حتى تتمكن الامة من تحقيق تواصلها مع تراثها وعقيدتها وقيمها مع علوم العصر وروحه .

قائمة المصادر والمراجع:

(*) ان الفكر العربي الحديث والمعاصر، قد تشعب الى شعب واتجاهات عدة ، اخذ كل اتجاه منها وجهه نظر تعبر عن رأيه في المجتمع والحضارة وشكل السلطة والعلاقة مع الغرب وكيفية المواءمة بين العروبة والاسلام وغيرها من الاشكاليات الاخرى ، مثل النهضة وطرق النهوض بالأمة ، علماً انه لا توجد هناك اشارات واضحة لتاريخية الفكر العربي الحديث والمعاصر، متى بدأ ، وماهي حقبة ، وهل يمكن تحديد مدياته الزمنية ، اذ يتداخل **(الفكر العربي الحديث)** مع **(الفكر العربي المعاصر)** تداخلاً واضحاً بخلاف تاريخية الفلسفة التي حدد مؤرخوها حقبها بدقة. يراجع حول تاريخية الفكر العربي الحديث والمعاصر: علي المحافظة ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، ط٢ ، المكتبة الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٨، ص٣٥ وما بعدها وايضا: البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٨، ص١٣١ وما بعدها.

١. صلاح الدين الهواري : المعجم الوسيط ، دار ومكتبة الهلال، بيروت (ب.ت)،ص١٦٩٠ مادة (نقد) .

٢. ابن منظور : لسان العرب ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط١ ، ج٣ ، المجلد الثاني، بيروت ٢٠٠٥ ، ص٣٩٩٧ مادة (نقد) ويقارن : لويس معلوف ، المنجد ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٤ ، ص٩٠٥ مادة (نقد) .

٣. للتفصيلات يراجع : عبد المنعم الحفني ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص٨٩٥ .

٤. حسام الالوسي: حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد ١٩٨٠، (القسم الثاني)، الفصل الأول، ويراجع أيضاً بحثنا: اشكالية النقد في الخطاب الفلسفي العراقي المعاصر حسام الالوسي إنموذجاً، المؤتمر الفلسفي العاشر، بيت الحكمة، ٢٠١١، ص ١٧٤ وما بعدها.

(*) ولد الشيخ محمد رشيد رضا عام (١٨٦٥) في (القلمون) قرب مدينة طرابلس في لبنان فكان ابوه شيخاً للقلمون واماماً لمسجدها، فعني بتربية ولده وتعليمه فهم من عائلة الأشراف التي كانت تتمتع بمكانة أدبية رفيعة، إذ كان يلقب (رضا) بكنية (الحُسيني) نسبة إلى جده الحسين عليه السلام، درس العلوم الدينية والحساب واللغة العربية في الكُتاب، ثم في المدرسة الرشدية، وبعدها في المدرسة الوطنية، حيث درس اللغتين التركية والفارسية، فضلاً إلى دراسة المنطق والرياضيات والفلسفة، هاجر إلى مصر وتأثر وأطلع على أفكار كلاً من جمال الدين الأفغاني الذي أسس صحيفة (العروة الوثقى)، وبمحمد عبده والتي من خلالها تنبه (رضا)

إلى أمر انخراطه في الطريقة النقشبندية (الصوفية)، لكنه سرعان ما أخذ يشعر بخطر هذه الطريقة فتركها، ومن هنا أصبح ناشداً لحرية العمل واللسان والتعليم، فدافع عن الخلافة الإسلامية من خلال تفسيره لشروطها ومناحيها الفقهية والسياسية، فهاجم العثمانيين والانكليز وأخذ يؤكد على المخاطر الصهيونية وأطماعها في المنطقة كلها. للتفصيلات يراجع: أيوب أبو ديه، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط١، وزارة الثقافة الأردنية، عمان ٢٠٠٨م، ص٦٠٥، وأيضاً: محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق ١٩٩٥، ص٤٥.

٥. محمد رشيد رضا: الخلافة والإمامة العظمى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٩٩٤، ص٥.

٦. خالد الفهداوي: محمد رشيد رضا (عصره، تحدياته، منهجه الإصلاحي)، ط١، دار صفحات، دمشق ٢٠٠٧، ص٣٨، ويقارن : الاجتهاد والتجديد في التشريع الاسلامي ، تأليف لجنة من الاساتذة ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ١٩٧٣، ص٣٩٠.

٧. محمد رشيد رضا: مجلة المنار، مشروع مفيد ١٨٩٨، ص٩ ويقارن: احمد فهد الشوايكة، محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية، مكتبة عمار، عمان ١٩٨٩، ص١٨٧.

٨. محمد رشيد رضا: الخلافة والامامة، ص٦٤.

٩. محمد رشيد رضا: مجلة المنار، ص١٠ وايضاً: ابراهيم العدوي، محمد رشيد رضا الامام المجاهد، سلسلة اعلام العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (ب. ت)، ص١٠.

١٠.محمد رشيد رضا: مجلة المنار، ص١١.

١١. القرآن الكريم: سورة الأعراف الآية (٥١).

١٢.محمد رشيد رضا: مجلة المنار، ص١١.

١٣.خالد الفهداوي: محمد رشيد رضا (عصره، تحدياته، منهجه الاصلاحي)، ص٣٩.

١٤.البرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة ، ص٢٧٥، وأيضاً: وجيه كوثراني، مختارات سياسية من مجلة (المنار) رشيد رضا ، المقدمة ، ط١، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص٦ ويقارن: محمد رشيد رضا، مجلة المنار، ص١٠.

١٥.ينظر: محمد رشيد رضا، الخلافة والامامة، ص٥.

١٦.محمد رشيد رضا: مجلة المنار، ص١١، وللتفصيلات يراجع: عثمان آمين، رائد الفكر المصري الامام محمد عبده ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص١٦٦ وكذلك : ألبرت حوراني، الفكر العربي في العصر النهضة، ص١٣٨.

١٧.البرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، ص٢٧٢ ويقارن: أيوب أبو ديه، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ص٦٠٦ وللتفصيلات يراجع: وجيه كوثراني، مختارات سياسية من مجلة (المنار)، ص٥.

١٨.محمد رشيد رضا: مجلة المنار، ص١١، ويقارن: ألبرت حوراني، الفكر العربي في العصر النهضة، ص١٣٧.

١٩.محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ص٤٩ ويقارن: عثمان أمين، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، ص١٦٥.

٢٠.البرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، ص٢٧٢.

٢١.محمد رشيد رضا: الخلافة والامامة، ص٧.

٢٢.المصدر نفسه، ص٧.

٢٣.محمد رشيد رضا: مجلة المنار، ص٩٧ ، ويقارن : خالد الفهداوي ، محمد رشيد رضا (عصره ، تحدياته ، منهجه الاصلاحي) ، ص٣٩ .

٢٤.المصدر نفسه، ص١٠٥.

٢٥.المصدر نفسه، ص١٤٥، ويقارن : وجيه كوثراني ، مختارات سياسية ، ص٧ .

٢٦.محمد رشيد رضا: مجلة المنار، ص٣٣٧.

٢٧.المصدر نفسه، ص٣٩١.

٢٨.المصدر نفسه، ص٤٨٠.

٢٩.أحمد فهد الشوايكة: محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية، ص١٨٨.

٣٠.محمد رشيد رضا: الخلافة والامامة، ص٨.

٣١.المصدر نفسه، ص٨ ويقارن: الماوردي، الأحكام السلطانية، طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٦٦، ص٣١.

٣٢.محمد رشيد رضا : المصدر نفسه ، ص٩.

٣٣. أحمد بن عبد الله السلمان: محمد رشيد رضا ودعوة محمد عبد الوهاب (ب. د)، الكويت ١٩٨٨، ص٤٩٣.

٣٤. المصدر نفسه، ص٤٩٤.

٣٥. وجيه كوثراني: الدولة والخلافة في الخطاب العربي أبان الثورة الكمالية في تركيا، ط١، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٦، ص٤٩.

٣٦. المصدر نفسه، ص١٠٤.

٣٧. محمد رشيد رضا: الخلافة والامامة، ص٦٣ ويقارن: مهدي أحمدي، الشيخ محمد عبده، تعريب بور صباغ، ط١، سلسلة رواد التغريب، إيران ٢٠٠٧، ص٣٦.

٣٨. أيوب أو ديه: موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ص٦٠٦.

٣٩. وجيه كوثراني: الدولة والخلافة، ص١٠٤.

٤٠. المصدر نفسه، ص١٠٤.

٤١. إبراهيم العدوي: محمد رشيد رضا الإمام المجاهد، ص٧٧، وللتفصيلات يراجع: محمد رشيد رضا، الخلافة والامامة، ص٨ ، ويضا: الاجتهاد والتجديد في التشريع الاسلامي ، ص ٣٩١.

٤٢. أيوب أبو ديه: موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، ص٦٠٧ ، وايضا : سعيد اسماعيل علي ، " طريق النهضة عند محمد رشيد رضا" ، مجلة الهلال، العدد (٥) ، القاهرة ١٩٩٠، ص٤٢ .

٤٣. البرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، ص٢٧٤، للتفصيلات يراجع: عثمان أمين، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، ص١٦٦.

٤٤. البرت حوراني: الفكر العربي، ص٢٧٥، ويقارن: إبراهيم خليل العلاف: تاريخ الفكر القومي العربي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠١، ص١١٢.

٤٥. القرآن الكريم: سورة يوسف، آية (٢).

٤٦. البرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، ص٢٨٣.

٤٧. علي حسين الجابري: فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، القسم الأول ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٩٣، ص١٩٦.

٤٨. علي حسين الجابري: فلسفة التاريخ، ص٣٣٩ ، إذ أن خروج الدولة من العرب وطاعة الحكام الطغاة جعل التغلب وسيلة السلطة، وشيوع العصبية المذهبية، والتساهل في شروط العلم، وسوء الظن بالتراث العربي الإسلامي، والقول بانتهاء دور المدنية الإسلامية، وخلود المدنية الغربية على علاتها بما فيها من تطرف ونزعة مادية وحروب وترف، كل ذلك رافق تمجيد العامة لبرامج الحكومات المستبدة بسبب المحاباة والجهل، فسكتوا على استبداد الأجنبي الظالم، بسبب غياب الرأي الحصين وضعف الأخلاق والاستهانة بالإنسان عموماً، والمرأة على وجه الخصوص، كل هذا ناتج عن ضعف الإيمان الحقيقي بالإسلام مع أنه أعظم قوة معنوية يمكن أن (تحمي) مدينة الشرق (وتنقذ) مدينة الغرب ، إذا ما نجحنا في غرس الفضيلة وروح الإيمان والعلم ، بعد أن اضمحلت في عصرنا بسبب فساد الحكومات والحكام وغياب العلوم والتربية الصحيحة التي تحقق النهضة. للتفصيلات يراجع: محمد رشيد رضا، الخلافة والامامة ، ص٦٤ وما بعدها.

٤٩. محمد رشيد رضا: الخلافة والامامة ، ص٥ ويقارن: علي حسين الجابري ، فلسفة التاريخ ، ص٢٩٧.

٥٠. محمد رشيد رضا: الخلافة والامامة ، ص٦ وما بعدها ، وأيضاً: علي حسين الجابري، فلسفة التاريخ ، ص٢٩٨.